الثورات وسؤال الحداثة «3-3»

محمد علي عناش

فلماذا تقدم الغرب وتخلف العرب والمسلمون؟ تساؤل مصيري وهمٌ معرفي عمره أكثر من قرن من الزمان، تعددت حوله الاجابات والحلول النظرية التي ظلت مشاريع فردية دون أن تتحول الى حركة اجتماعية واسعة بفعل الحرب الشعواء التي تمارسها قوى التطرف والارهاب على كل مشروع للتحديث وتحرير عقل الأمة من الأفكار الظلامية التي تنعش التطرف والعنف الديني من الافغاني ومحمد عبده رواد المؤسسة الدينية المستنيرة، الى بن لادن والظواهري والزنداني، وأيضاً من الوحدة الاجتماعية والتسامح الديني والاجتماعي، الى حروب الطوائف والمذاهب، والسيارات المفخخة والمساجد المفخخة والإنسان المفخخ، رحلة مريرة شهد فيها الوعي والعقل العربي المسلم أعنف وأمر هزيمة معرفية، وحالة تراجع و انكسار في جميع الاتجاهات ليكون تنظيم القاعدة وحركة طالبان أبشع مولود مشوه تنتجه الامة وهي تعيش مرحلة تراجعها وانكسارها.

لذا فالحقيقة الغائبة أن الثورات العربية التي تطالب بالديمقراطية دون أن تطرح قضية التخلف ومسألة التحديث ستكون مستقبلاً خارج دائرة الفعل الحضاري والعصري، تنتج التخلف وتكرس كل عوامل الخروج من العصر والبيئة الأكثر خصوبة للتطرف والارهاب.

النسخة الليبية في الأحداث

بعد أقل من عشرين يوماً من الاحتجاجات والمظاهرات في ليبيا تتحول ليبيا، وبلا مقدمات، الى مسرح لحرب أهلية دامية ومأساوية، ويتحول المتظاهرون الى ثوار مسلحين بمختلف الاسلحة، فكيف حصلوا على الاسلحة الكافية بهذه السرعة، وأية قدرة تنظيمية جعلتهم يصمدون طوال هذه الفترة، أمام كتائب نظامية مدربة ومسلحة ومزودة بالسلاح النوعي، أسئلة تجيب عليها ميادين المعارك بأن هذه الكتائب تواجه مليشيات موحدة الهدف والأطر التنظيمية، وقد تم إعدادها وتدريبها مسبقاً، ومع ذلك فالدول الغربية وعلى رأسها فرنسا وبريطانيا وأمريكا تدخلت عسكرياً الى جانب من تسميهم ثوار ليبيا، ضد كتائب القذافي، هذه الدول وخاصة فرنسا لم تمارس دور الوسيط وحلال الأزمات لتكون لغة الحوار هي المقدمة الأولى للأمن والاستقرار، فلغة المدفع والـ«آر بي جي» كانت هي السباقة من قبل الثوار، وهي من وضعت الجميع أمام أمر واقع، كنا نعتقد أن الصورة المرسومة لهذه الدول أثناء تدخلها عسكرياً في العراق قد تغيرت وأن خيار الاصلاحات السياسية والدبلوماسية الراقية التي تدفع في هذا الاتجاه قد تقدمت على خيار التدخل العسكري المباشر.. لكن يبدو أن لا جديد على الطاولة سوى الحفر في ذاكرة الشعوب المكلومة أن الشرق شرق والغرب غرب، بموقفهم هذا لم يكونوا ديمقراطيين ولا حاملي سلام بالبتة، وإنما أصحاب ثأر سياسي..

كانت فرنسا وبريطانيا أكثر حدة في موقفهما من أمريكا التي بدت أنها غير راضية عن مجريات الاحداث وطريقة التدخل العسكري الذي ليس له أية علاقة بالتحضر واحترام الآخر.. أليس من المخجل أخلاقياً لو أن الاحداث في ليبيا في نهاية المطاف لم تثمر الا عن دولة متشددة ومتطرفة لا تفقه شيئاً من مبادئ السلام وحوار الحضارات الا مقولة الشرق شرق والغرب غرب أو بالأحرى لا شرقية ولا غربية، إسلامية إسلامية الشعار المرفوع للاخوان المسلمين من أول القرن.

النسخة اليمنية في الأحداث

النسخة اليمنية في المشهد الثوري العربي صار حالة خاصة وخاصة جداً، فطبيعة التكوين الاجتماعي والثقافي والسياسي لهذه الحالة الثورية بما تحمله من تناقض وما تخفيه كوامنها من جدلية صراع الأضداد والتي بدت جلية في رسالة الشيخ حميد الأحمر الى لجنة الحوار الوطني، فرضت نفسها بقوة في مجريات الأحداث منذ خمسة أشهر انحرفت خلالها عن مفهوم الثورة والسلوك الثوري، الى حالة فوضوية وهمجية ضد الوطن والشعب، باسقاط المشروع المدني والسلمي، واستهداف الرئيس وكبار رجالات الدولة بمحاولة اغتيال إجرامية في جامع النهدين، وإعادة انتاج التخلف والاستبداد الديني والعشائري لتغييب واسقاط قضية التحديث والتنمية الاجتماعية من الأساس.

(السلمية المزعومة) انحرفت الى حالة فوضوية وهمجية ضد الوطن والشعب

لقد توازت الحركة التصاعدية للأحداث مع حركة تصاعدية للأدوار والقوى الفاعلة، فمنذ أن انتزعت الثورة منذ البداية من حضن الشباب والقوى المدنية، وتلقتها القوى التقليدية والرجعية والانتهازية لتنحصر في النهاية في يد أكثر القوى تطرفاً وراديكالية اجتماعية ودينية، الجنرال علي محسن الاحمر وحليفه في مشروع طالبان اليمن الشيخ عبدالمجيد الزنداني والقوى الدينية التي تلتقي في الأسس والجذور الفكرية والثقافية والثقافية.. وحفيد الشيخ الزنداني الذي لقي حتفه في العراق أثناء تنفيذه عملية انتحارية لم يأتِ إلا من هذا الوسط القاعدي.

جماعة «الاخوان».. وحلم قيادة البشرية (2-2)

عبدالرحمن مراد

عتب علينا كثير من الاخوان ممن تربطنا بهم علاقة ودّ في الإطار الاجتماعي والجغرافي الذي يجمعنا، قائلين إن ما نتناول لا يدلُّ على أصالة المجتمع ولا يخدم تحديات المرحلة، وفي الوقت الذي أقدر لهم حرصهم ومتابعتهم لما نتناوله من قضايا واتجاهات فكرية ونقد، أجدد القول الذي سلف وتكرر معنا كثيراً في جل التناولات السابقة، أن أي متغير اجتماعي وسياسي منشود لا يسبقه متغير ثقافي ونفسي وأخلاقي ليس سوى إعادة مثلى لصياغة مكونات الماضي وإنتاجه من جديد، وهذا الأمر يؤكد عليه القرآن وليس من اختراع أحد من الفلاسفة والمفكرين ولكنه من البديهيات التي أكد عليها القرآن الكريم وتواترت على ألسنة الفلاسفة والمفكرين وبصيغ شتى.

والمتأمل في جلّ النظريات التي عبّر مضمونها عن مشروع حضاري نهضوي للبشر يجدها تشتغل على ذات الكليات التي قال بها علماء الاسلام وهي الدين، النفس، العقل، المال، العرض، وربما التقى المفكرون والفلاسفة مع مقاصد الله للبشر، من الانتقال والحركة والتطوير، ولذلك فإن النصوص المقدسة لم تحدد نظاماً عاماً، ولا قوانين عامة، وقد أوكلت ذلك الى البشر حتى يتحركوا في إطار التصور العام للدين ليضعوا القوانين والأنظمة التي تتوافق ومعطيات الأزمنة، فالثبات ليس صفة دائمة لحركة الانتقال والتطور وليس صفة دائمة للمجتمعات الانسانية، والتدافع حركة ميكانيكية وهي ناتجة عن صراع جدلي غايته التحول والانتقال وتجديد ما فسد من عوامل الزمن وهي ثابتة بالنص القرآني ولا مراء فيها، ولعل القراءة الواعية وفق أسس وتجليات التفكير النقدي الذي يركز على تنمية مهارات التعامل مع الفيض المتزايد من المعلومات والتي تشمل كما يقول «الدكتور نبيل علي » في بحثه - العقل العربي ومجتمع المعرفة -

المهارات الخاصة بالتحليل والتركيب والتنظيم وإعادة البناء والتقييم والتوظيف وتشمل ايضا مهارات استخلاص المعرفة من ظاهر تجلياتها سيضعنا أمام أسئلة التحديات العصرية في حال نكون قد تجاوزنا معوقات التفكير النقدي التي حددها الدكتور «نبيل علي» في بحثه «العقل العربي ومجتمع المعرفة.. مظاهر الأزمة واقتراحات الحلول، الصادر في عام ٢٠٠٩م عن عالم المعرفة - في المحددات التالية:

- **الهجوم الشخصي:** أي مهاجمة الشخص لا تفنيد ما يدعيه والتشكيك في دوافعه ونواياه والتنديد بأفعاله وعلاقاته.
- **برهنة الصواب بخطأ مزدوج:** أي تبرير الخطأ بخطأ مكافئ أو يفوقه إثماً.
- **اللجوء الى الخوف:** أي استخدام سلاح التخويف والتهديد لغرض القبول بفكرة أو موقف معين من دون توافد ما يبرره.
- **اللجوء الى السلطة:** عندما يحيل المرء من دون وجه حق الى سلطة موثوق بها كالعلماء والخبراء وأهل الحكمة أو إلى مصادر من ذوي السلطات من دون تقديم ما يبرر الارتكان اليها.
- **اللجوء الى الجهل:** وذلك عند الحكم بصحة زعم ما لعدم توافر ما يقوضه أو العكس.
- **اللجوء الى الشفقة:** أي استخدام الاستعطاف بإثارة الشفقة بالإشارة الى أمور ومواقف منقطعة الصلة بالمسألة المطروحة.
- **اللحاق بالركب:** أي الدعوة بقبول الامر حتى يحذو حذو من سبقوه من ذوي المكانة والرأي السديد.
- **إضعاف الخصم افتعالاً:** إضعاف الخصم حتى تسهل هزيمته بتشويه رأيه وعدم الأمانة في عرض موقفه وتأويل مقولاته وكذلك بتوسيع آرائه الى حد يصعب معه الدفاع عنها.
- **التحايل بالزوغان أو التشتيت:** وكذلك بإقحام المتلقي في أمور جانبية لا تمت بصلة للمسألة قيد التناول بغرض تشتيت الانتباه عن الأمور الجوهرية.
- **المصادرة على المطلوب:** وهي محاولة إقناع إما تصريحاً بالنتيجة بإعادة صياغة المقدمة أو بالتدليل الحلقي بجعل المقدمات تفترض بداية صحة نتائجها، وذلك بغرض الحث على قبول الرأي من دون، أو قبل، تقديم ما يدعمه من شواهد وأدلة.
- **طرح الأسئلة المستترة المغرضة:** وهي استخدام الاسئلة التي تنطوي على تأثيم لأمر ما، أو تحمل في ثناياها ما يشي بوجهة نظر ما سلبية في أغلب الاحيان.
- **خلل التعليل الخاطئ:** وهو الاستنتاج الخاطئ على أساس أنه ما دامت حادثة ما ولتكن «س» قد وقعت قبل حادثة أخرى، ولتكن «ص» فعليه يمكن لنا أن نستنتج أن «س» هي سبب حدوث «ص».
- **التعميم المجازف المتسرع:** وهو التسرع في إقامة مزاعم من دون كفاية من الشواهد والأدلة.
- **الحكم المقولب:** وهو تعميم مجازف يصف جماعة معينة.
- **التعميم الكاسح:** وهو إصدار أحكام مطلقة من دون كفاية من الشواهد والأدلة.
- **عدم اتساق النتائج مع مقدماتها:** وهو غياب أو عدم اتساق الرابط المنطقي بين مقدمات ونتائج لا تنشأ عنها.
- **التناقض الذاتي:** وهو طرح مقدمتين لا يمكن أن تكونا صحيحتين في آن واحد.
- **التبسيط الزائد:** وهو اختزال العلاقة بين العلة والأثر واسقاط جوانب جوهرية من المسألة قيد التناول.
- **التقاط التوافه:** وهو التركيز على الامور التافهة وتصيد الاخطاء الصغيرة في وجهة نظر الآخر والتي لا تؤثر في صواب ما طرح.
- **خطأ النظرة الانتقائية:** وهو تجاهل الأدلة على الجانب الآخر من السؤال وانتقاء العناصر التي يمكن أن تقيم أفضل أو أسوأ، حالة ممكنة وهو ما يوصف أحياناً بالتفكير بالتمني.».. تلك العوائق للتفكير التي جرى تفريعها وتصنيف مصادر الخطأ فيها بدقة متناهية تقف حائلاً أمام تصويب الأفكار

هو لميس: « ليس هناك تعارض بين الاسلام ومفهوم الحرية في كثير من مضامينها الغربية»

لم يكن قطب على وفاق مع الذين يرون في رموزهم الدينية انهم معجزات كونية

والتزام الدقة والانصاف في تقييم فكر الآخرين من علل التفكير وآفاته وتفرد الغرب بالقول بها والاشتغال عليها جعله الأقدر على قيادة البشرية، فالهجوم الشخصي وبرهنة الصواب بخطأ مزدوج واللجوء الى الخوف، والقول باللحاق بالركب، وإضعاف الخصم افتعالاً والتعميم المجازف المتسرع والكاسح، والنظرة الانتقائية معوقات اساسية أمام حلم حركة «الاخوان المسلمين» في قيادة البشرية الذي عبّر عنه سيد قطب في سياق قوله: «لابد من قيادة تملك إبقاء وتنمية الحضارة المادية التي وصلت اليها البشرية عن طريق العبقرية الأوروبية في الابداع المادي، وتزود البشرية بقيم جديدة جدة كاملة بالقياس الى ما عرفته البشرية، وبمنهج أصيل وإيجابي وواقعي في الوقت ذاته، والاسلام وحده هو الذي يملك تلك القيم وهذا المنهج» وكما عبر عنه بشكل أوضح في قوله: «لابد إذاً من مؤهل آخر لقيادة البشرية غير الابداع المادي - ولن يكون هذا المؤهل سوى العقيدة والمنهج» الذي يسمح للبشرية ان تحتفظ بنتاج العبقرية المادية، تحت اشراف تصور آخر يلبي حاجة الفطرة كما يلبيها الابداع المادي، وأن تتمثل العقيدة والمنهج في تجمع انساني أي في مجتمع مسلم..».

ومنذ أن تسلم الغرب راية قيادة البشرية تواترت المشاريع النظرية والحضارية وتعاضدت في سلسلة تراتبية وصلت الى التفكير في معالم وملامح ما بعد الحداثة في حين ظل المجتمع المسلم عاجزاً عن صياغة مشروعه الحضاري في تحقيق مقاصد الله من الخير والنماء والحق والعدل والرفاه والعمران والتطوير والتحديث، وكما سلف أن الخوف كان أحد عوامل النكوص، ففي حين تقوم مؤسسة التراث الامريكية بتدشين مشروعها للكشف عن ما إذا كان مفهوم الحرية في الاسلام ينسجم مع المفهوم الغربي، وبعد قراءة عميقة وفاحصة استمرت سنوات تصل كيم.. آر.. هو لميس.. في دراسة لها بعنوان «استكشاف مفاهيم الحرية في الاسلام» الى القول « إنه ليس هناك تعارض بين الاسلام ومفهوم الحرية في كثير من مضامينها الغربية» وهو الأمر الذي يؤكد قولنا بواحدية الهدف والمقاصد بين الفكر الانساني الذي يلتقي عند نقطة حيوية من غايات الله ومقاصده للبشر من خلال أبعاد التصور الذي رسمه للبشر وجاء به الانبياء في صورة نقية خالية من أهواء البشر ونرجسيتهم.

ولا أظن سيد قطب نفسه سيكون على وفاق مع أولئك الذين يرون في رموزهم الدينية والسياسية معجزات كونية وبعض آيات الله الكبار، كما طالعتنا بتلك المضامين الصحف السيارة على إثر الجدل بين المدنية والاسلام وفي ذات السياق أظنه كان سيتراجع عن فكرة الجاهلية والحاكمية وفق المفهوم الذي اشتغل عليه القطبيون وجماعة الهجرة والتكفير والجهاد والقاعدة لأن مشروعه أنتج صراعاً جدلياً بينياً ولم يبتكر مشروعاً ناهضاً يؤهله لقيادة البشرية بل ابتكر مشروعاً تدميرياً عالمياً استهدف الحياة والنماء والعالم، فوقف العالم ضده وحده، الزبد يذهب جفاء أما ما ينفع الناس فيمكث في الارض ولو كان من كافر.. ولعل ما يحدث في أبين والجوف وتعز وجبل الصمع وأرحب يجعلنا نبحث عن مصوغاته الدينية، أما النظرية فقد علمناها، وعلى «إخوان اليمن» مراجعة أنفسهم لأن توظيف الدين في السياسة يسقط قداسته وتعاليه في النفوس، ولعل ما خسره «الاخوان» في اعتصامات ٢٠١١م أضعاف ما كسبوه في حرب صيف ٩٤م والعاقبة هي للمتقين.. ولله الأمر من قبل ومن بعد، وشهر مبارك أيها القراء الأعزاء.

موقعة أرحب.. وحقيقة العلاقة بين (الإخوان والقاعدة)

لم يعد خفياً ذلك التناغم والتمازج الفكري والمنهجي والميداني للحركات الإرهابية المتطرفة المندرجة تحت "تنظيم القاعدة"، وحركة الإخوان المسلمين في اليمن «حزب الإصلاح» المندرج وقوى أخرى تحت تحالف (اللقاء المشترك).

والحديث عن هذا التناغم بين القاعدة والإخوان في اليمن لا يشمل أو يعم مفهومه واقع حركة الإخوان على المستوى العربي والإسلامي الذي ليس محور حديثنا هنا .. لكننا نقلب في أوراق يمنية بحتة تحمل خصوصية المواقف والمسارات ووجب لزاما التعريج عليها بالتزامن مع ما يجري في البلاد من أحداث.

سعيد عزيز

فحزب الإصلاح "الإسلامي" في البلد الإسلامي أصلا.. لم يأت تكوينه ليحمل معالم وطموحات وتطلعات الإنسان اليمني الإسلامي المعتدل والوسطي وهي الصفة التي يجتمع تحتها غالبية الشعب اليمني، إذ كان لا بد أن يحمل نهج "الإصلاح" لونا أكثر تطرفا وبرجماتية للدين.. استقطبت القوى والأفراد والتكوينات الأكثر قابلية للتطرف التي ترى مفهوم الإسلام مختلفا عما يراه الشارع والعامة.. لقد اجتذب هذا التنظيم الاخواني في الأصل كل المنهجيات المتطرفة الرافضة للآخر ولحقه في الحياة ، المبيحة للدم، والتكفير، تحت مبرر الحياد عن المسار الإسلامي "السامي"، فكان ذلك قوام "الإصلاح" مع الإشارة إلى أن جزءا كبيرا من كيانه القاعدي بعيدون عن هذا الفكر.. وبريئون من هذا النهج.. تلك التكوينات المعقدة شكلت روح الإصلاح الحزب، وتمكنت من رسم مسار مغاير تماما على الواقع لبرنامج ونهج الحزب على الورق ، أصبحت هي من تسيره وتوجهه وراء الأكمة.. بقالب سياسي "مدني" في الظاهر.

الملاحظ واللافت للانتباه ، انه وخلال عقود من التاريخ اليمني الحديث الذي شهدت فيه البلاد حربا مفتوحة ضد الإرهاب والحركات الإرهابية القاعدية، ظل حزب الإصلاح " السياسي" مرتبكا لم يحدد موقفه ، بل ظل يكبت ألمه ورفضه لما يجري، ولم نشهد ولو تصريحا "واحدا واضحا" يبارك الحرب على الإرهاب وينتصر للقوات العسكرية والأمنية الحكومية التي تخوض أتون الحرب ، وبدلا من ذلك شاهدنا وقرأنا اعتراضا وتشكيكا بجهود الدولة ورميا للتهم وتحوير الفعل تحت مسميات ومبررات واهية تحاول أن تنال من تلك المساعي والجهود. لقد كانت الأجنحة السياسية داخل " حزب الإخوان" تعرف تماما أن التنصل عن تلك الحركات الجهادية سيكون بمثابة انهيار بنيوي لكيان الحزب، كما أن مناصرتها جهارا ستؤدي إلى انهيار سياسي للحزب، لذا ظلت العلاقة "الحميمية" وراء الكواليس.. في ظل غموض يعتريها في الظاهر.. لكن ذلك الغموض لم يدم طويلا ، فكل تفاصيل الأزمة الحالية كانت تنبئ بذلك التزاوج بين الحزب والحركات المتطرفة ، حتى تجلت تلك الحقيقة في أبهى صورها في " غزوة أرحب" التي كشفت مدى التلاحم الوثيق بين الحزب السياسي ومكوناته الإرهابية القاعدية.

حرب أعدت بإحكام، عناصرها ليست رهينة لتحالف لحظي أو آني، بل وليد زمن من المنهجية والإعداد المشترك. القاعدة والإصلاح الاخواني في خندق واحد .. ليس في الأمر من مفاجأة..!

البلد يواجه الآن "ثورة التطرف" التي شكل سيناريوهات حلقاته جهابذة التطرف في البلاد، فمن القيادي العسكري المنشق الذي ظل يخفي تطرفه وتعاطفه مع تلك الحركات عقودا حينما كان "رجل دولة" لكنه كان يغدق عليها بكرم من أموال الدولة وراء الستار .. مرورا بأولاد الشيخ الراحل الذين لا يزالون يتشبثون بالمجد الذي زال.. لكنهم يقولون إنهم موعودون بعودته على سيوف المجاهدين، وانتهاء برجل الدين صاحب السبق الجهادي خارج الحدود اليمنية ، والأب الروحي للحركة في اليمن ، والداعم المعنوي الرئيس للعناصر والأفراد في الحركات الإرهابية.. بالوصول عبر اقصر الطرق إلى الفردوس الأعلى .. تلك هي حلقات الثالوث المرعب للإرهاب المنظم في البلاد، ناهيك عن فروعها العنقودية المتناثرة على مساحات من الوطن الحبيب، والتي تتخذ قالبا خلاقا قد يأتي تحت مسمى شيخ قبيلة أو رجل سياسة.. أو حتى إمام وخطيب جامع.التزاوج الوثيق بين تلك المكونات أفرز إرهابا سياسيا تجسد مؤخرا، اختزل كل نزوات التطرف الديني والقبلي والسياسي على السواء.. وذلك التزاوج سيدفع ثمنه "الإصلاح" على المستوى السياسي والشعبي.

الحرب لا تزال مفتوحة على مصراعيها.. حرب الدولة على مكونات اللادولة.. حرب الوسطية على التطرف، حرب إرساء الأمن على كل مقوضات الأمن والسكينة في البلد.. حرب المفاهيم المنفتحة على المفاهيم العقدية العتيقة والهدامة.